٤٦ – باب فضل الحب في الله والحث عَلَيهِ وإعلام الرجل من يحبه، أنه يحبه، وماذا يقول لَهُ إِذَا أعلمه

قَالَ الله تَعَالَى: {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ} [الفتح: ٢٩] إِلَى آخر السورة، وَقالَ تَعَالَى: {وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ} [الحشر: ٩].

==========

قَالَ الله تَعَالَى (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ) إِلَى آخر السورة .

(مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّه) أي : محمَّدٌ رسولُ الله حقًّا بلا رَيْبٍ .

(وَالَّذِينَ مَعَهُ) أي : أصحابه ﷺ .

(أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُم) أي: جادُّونَ ومُجتهِدونَ في عَداوَتِهم، وساعُون في ذلك بغايةِ جُهدِهم، فلمْ يَرَوا منهم إلَّا الغِلظةَ والشِّدَّةَ؛ فلذلك ذلَّ أعداؤُهم لهم، وانكسَروا، وقهَرَهم المسلِمونَ، رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ أي: مُتحابُّونَ مُتراحِمونَ مُتعاطِفونَ، كالجسَدِ الواحدِ، يحِبُّ أحدُهم لأخيه ما يحِبُّ لنفْسِه، هذه مُعامَلتُهم مع الخَلقِ .

قال ابن عاشور: المقصودُ الثَّناءُ على أصحابِ رَسولِ الله ﷺ... والمرادُ: أصحابُه كُلُّهم، لا خُصوصُ أهلِ الحُدَيبيَةِ .

وَقالَ تَعَالَى (وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ) .

(وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ) أي : والذين اتخذوا المدينة منزلاً وسكناً ، وآمنوا قبل هجرة النبي ﷺ إلى المدينة ، وهم الأنصار .

قال القرطبي : أي تبوءوا الدار من قبل المهاجرين ، واعتقدوا الإيمان وأخلصوه ، والتبوء : التمكن والاستقرار ، وليس يريد أن الأنصار آمنوا قبل المهاجرين ، بل أراد آمنوا قبل هجرة النبي ﷺ إليهم .

(يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ) أي : يحبون إخوانهم المهاجرين ، ويواسونهم بأموالهم ، حتى إن أحدهم كان يقسم ماله بينه وبين أخيه من المهاجرين نصفين ، ويقول له : هذا نصف مالي لك !! .

قال الخازن : وذلك أنهم أنزلوا المهاجرين في منازلهم ، وأشركوهم في أموالهم .

قال السعدي (يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ) وهذا لمحبتهم لله ولرسوله، أحبوا أحبابه، وأحبوا من نصر دينه.

٣٧٥ – وعن أبي هريرة ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ (إنّ الله تَعَالَى يَقُول يَوْمَ القِيَامَةِ: أيْنَ المُتَحابُّونَ بِجَلالِي؟ اليَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لاَ ظِلَّ إلاَّ ظِلِّي) رواه مسلم.

==========

١-قوله **(الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي)** اختلف العلماء في المراد في هذا الظل:

القول الأول: المراد في ظل عرشه.

وإلى هذا ذهب الطحاوي، وابن رجب، والقرطبي، وابن حجر، وهو ظاهر صنيع ابن منده، والسيوطي، وحافظ حكمي.

أ- ويدل عليه حديث سلمان عند سعيد بن منصور بإسناد حسن (سبعة يظلهم الله في ظل عرشه ...) وحسن إسناده ابن حجر، والعيني، والسيوطي.

ب- أن الظل جاء مضافاً إلى العرش في عدة أحاديث غير هذا:

كحديث (من أنظر معسراً أو وضع عنه، أظله الله يوم القيامة تحت ظل عرشه ...) رواه الترمذي.

وحديث (المتحابون في الله على منابر من نور في ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله).

القول الثاني: المراد بالظل المضاف إلى الله في الحديث رحمته.

وإلى هذا ذهب ابن عبد البر في أحد قوليه، وذكره البغوي، والبيهقي وغيرهما.

وأصحاب هذا القول، منهم من يفسر الرحمة بدخول الجنة كابن عبد البر، ومنهم من يفسرها بالرعاية والكرامة والحماية، كما يقال: أسبل الأمير أو الوزير ظله على فلان، بمعنى الرعاية والحماية.

وممن فسرها بهذا: عيسى بن دينار، والبيهقي، والبغوي، والقاضي عياض.

القول الثالث: أن المراد بالظل في الحديث: ظل يخلقه الله، لأنه في ذلك الوقت لا يوجد شيء يظل الخلائق من الشمس، فلا بناء ولا شجر ولا رمال ولا حجر، إلا ما يخلقه الله تعالى ، وهذا اختيار الشيخ ابن عثيمين.

١ – الحديث دليل على فضل المحبة في الله، والمحبة في الله لها فضائل:

أولاً: أن المحبة لله سبب لمحبة الله للعبد.

قال – عليه السلام –: (قال الله تعالى: وجبت محبتي للمتحابين فيَّ والمتجالسين فيَّ) رواه مالك.

ثانياً: أن الله سبحانه وتعالى يظل المتحابين في ظله يوم لا ظل إلا ظله.

كما في حديث الباب.

وفي حديث أبي هريرة الآتي (سبعة يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله: ... فذكر منهم: ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه).

ثالثاً: أن الحب في الله والبغض في الله دليل على كمال إيمان العبد.

عن أبي أمامة ﷺ: قال رسول الله ﷺ (من أحب في الله وأبغض في الله وأعطى لله ومنع لله، فقد استكمل الإيمان).

رابعاً: أن الحب في الله سبب لحلاوة الإيمان وطعمه.

كما في حديث أنس الآتي (ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: ... وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله).

وقال أيضاً ﷺ (من أحب أن يجد حلاوة الإيمان فليحب المرء لا يحبه إلا لله) رواه أحمد.

خامساً: أن المرء بمحبته لأهل الخير لصلاحهم يلتحق بهم ويصل إلى مراتبهم وإن لم يكن عمله بالغاً مبلغهم.

ففي الصحيحين عن ابن مسعود قال: (جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، كيف تقول في رجل أحب قوماً ولم يلحق بهم؟ قال: المرء مع من أحب). متفق عليه .

سادساً: أن الله يكرم من أحب عبداً في الله.

عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ (ما أحب عبدٌ عبداً لله إلا أكرمه الله). رواه ابن أبي الدنيا.

سابعاً: أن المتحابين في الله لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء.

عن معاذ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ (قال الله تعالى: المتحابون في جلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء). رواه الترمذي وصححه.

قال ابن رجب رحمه الله تعالى: ومن تمام محبة الله: محبة ما يحبه وكراهة ما يكرهه، فمن أحبّ شيئاً مما كرهه الله، أو كره شيئاً مما يحبه الله، لم يكمل توحيده وصدقه في قوله لا إله إلا الله، وكان فيه من الشرك الخفي بحسب ما كرهه مما أحبه الله، وما أحبه مما يكرهه الله.

وقال ابن القيم رحمه الله: من أحبّ شيئاً سوى الله، ولم تكن محبته له لله، ولا لكونه معيناً له على طاعة الله، عذب به في الدنيا قبل اللقاء كما قيل:

أنت القتيل بكل من أحببته *** فاختر لنفسك في الهوى من تصطفي.

٣- الحديث دليل على فضل الإخلاص في الأعمال، وأن الإخلاص سبب لرفعتها وعلو منزلتها.

٤ - أن يوم القيامة لا ينفع إلا ما كان لله.

٥ - التحذير من المحبة لغير الله.

٦ - إثبات يوم القيامة.

٣٧٦ - وعن أنسٍ ﷺ عن النَّبيّ ﷺ قَالَ (ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلاوَةَ الإيمانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سَوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إلاَّ للهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ الله مِنْهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

==========

(ثلاث) أي ثلاث خصال.

(من كنَّ فيه) أي وُجدت فيه.

(وجد بهنّ حلاوة الإيمان) الحلاوة هنا: هي التي يعبر عنها بالذوق، لما يحصل به من لذة القلب ونعيمه وسروره وغذائه، وهو شيء محسوس يجده أهل الإيمان في قلوبهم.

قال النووي : معنى حلاوة الإيمان: استلذاذ الطاعات، وتحمل المشاق، وإيثار ذلك على أعراض الدنيا، ومحبة العبد لله بفعل طاعته وترك مخالفته، وكذلك الرسول ﷺ .

١-الحديث دليل على فضل من فضائل الحب في الله – وقد تقدمت - وأنه من أسباب وجدان حلاوة الإيمان.

٢-الحديث دليل على أن للإيمان حلاوة، يستلذ الطاعة ويتحمل المشاق وينشرح صدره لكل قضاء من الله.

قال ابن تيمية: إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لا يدخل جنة الآخرة.

وقال بعض العارفين: لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف.

وقال آخر: إنه لتمر بالقلب أوقاتٌ يرقص فيها طرباً.

وقال آخر: إنه لتمر بي أوقات أقول: إن كان أهل الجنة في مثل هذا إنهم لفي عيش طيب.

وكان بلال يصنع به الكفار أن يضعوه بالرمضاء تعذيباً له ومع ذلك يقول: أحد أحد.

وكذلك أيضاً عند موته: أهله يقولون: واكرباه، وهو يقول: ... غداً ألقى الأحِبَّهْ ... محمداً وصحْبَهْ .

- وذلك الصحابي الذي سرق فرسه بليل وهو في الصلاة، فرأى السارق حين أخذه، فلم يقطع لذلك صلاته، فقيل له في ذلك؟ فقال: ما كنت فيه أكبر من ذلك.

- ومن ذلك حديث الصحابيين اللذين جعلهما النبي ﷺ في بعض مغازيه ليلة يحرسان جيش المسلمين، فنام أحدهما وقام الآخر يصلي، فإذا الجاسوس من قبل العدو، وقد أقبل، فرآهما، فكبد الجاسوس القوس، ورمي الصحابي فأصابه فبقي على صلاته ولم يقطعها، ثم رماه ثانية فأصابه فلم يقطع لذلك صلاته، ثم رماه ثالثة فأصابه، فعند ذلك أيقظ صاحبه، وقال: لولا أني خفتُ على المسلمين ما قطعت صلاتي [وهذا بسبب ما وجد فيها من الحلاوة، حتى أذهبت عنه ما يجده من ألم السهام].

٣- ذكر الرسول ﷺ في هذا الحديث كيفية تحقيق حلاوة الإيمان:

الخصلة الأولى:

(أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما).

المحبة هنا: محبة قلبية، كما في حديث آخر: (أحبوا الله بكل قلوبكم).

والمعنى: أنه يميل بكليته على الله وحده، فيكون محبوبه ومعبوده دون من سواه، وإنما يحب من سواه تبعاً لمحبته، كما يحب الأنبياء والمرسلين والملائكة والصالحين، لما كان يحبهم ربه سبحانه وتعالى .

ومن علامات محبة الله ورسوله:

أن يحب ما يحب الله، ويكره ما يكره الله، ويؤثر مرضاته على ما سواه، ويسعى فيما يرضيه ما استطاع، ويبعد عما حرمه ويكرهه أشد الكراهة، ويتابع رسوله ﷺ، ويتمثل أمره ونهيه، كما قال: (مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ).

ومن لوازم محبة الله أيضاً: محبة أهل طاعته، كمحبة أنبيائه ورسله والصالحين من عباده.

الخصلة الثانية:

(أن يحب المرء لا يحبه إلا لله) وتقدم ذلك.

الخصلة الثالثة:

(أن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار).

أي يستوي عنده الأمران: الإلقاء في النار، والعودة في الكفر، فمن كره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله فإن هذا من أسباب حلاوة الإيمان.

٤ – من فوائد الحديث: إثبات حلاوة الإيمان وأنها لا تتحقق لكل مؤمن.

٥ – أن من اتصف بهذه الصفات أفضل ممن لم يتصف بها.

٦ – أن الإيمان يزيد وينقص.

٧ – الرد على ما يظنه بعض الناس من أنه من وُلِدَ على الإسلام أفضل ممن كان كافراً فأسلم.

قال شيخ الإسلام في الفتاوى: وما يظنه بعض الناس من أنه من وُلِدَ على الإسلام فلم يكفر قط، أفضل ممن كان كافراً فأسلم ليس بصواب، بل الاعتبار بالعاقبة وأيهما كان أتقى له في عاقبته كان أفضل ".

٨ – وجوب كراهية الكفر وأهله.

٩ – أهمية أعمال القلوب وأنها مما ينبغي الاهتمام بها.

١٠ – من لوازم هذه المحبة نصرة الدين وحفظ الشرع وحفظ السنة.

١١ – الحذر عن المعوقات عن ما يشغل عن الله ورسوله.

١٢ – أهمية عقيدة الولاء والبراء.

١٣ – الحذر والخوف من الشرك.

١٤ – فضل المحبة في الله، وأن تكون خالصة لوجه تعالى.

١٥ – أن فقد الكثير من الناس لحلاوة الإيمان لأنه أصبح حبهم من أجل الأغراض الدنيوية ، فإن من أحب غيره للأغراض الدنيوية انقطعت محبته إن حصل له ذلك الغرض، أو يئس من حصوله.

٣٧٧ – وعن أَبي هريرة ﷺ عن النَّبيّ ﷺ قَالَ (سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ في ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إلاَّ ظِلُّهُ: إمَامٌ عَادِلٌ، وَشَابٌّ نَشَأ في عِبَادَةِ الله – عز وجل – وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِالمَسَاجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابّا في اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيهِ وتَفَرَّقَا عَلَيهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأةٌ ذَاتُ حُسْنٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إنِّي أخَافُ الله، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ، فَأخْفَاهَا حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ الله خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

==========

١–قوله (**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ في ظِلِّهِ**) تقدم في المراد بالظل .

٢–قوله (**سَبْعَةٌ**) هذا لا يدل على الحصر، بدليل أنه جاءت أحاديث فيها بعض الأعمال (غير المذكورة في الحديث) فيها هذا الفضل.

كحديث (مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِراً أَوْ وَضَعَ عَنْهُ أَظَلَّهُ اللَّهُ فِي ظِلِّه) رواه مسلم.

مثال :

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنهما: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (أُعْطِيتُ خَمْساً، لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنْ الأَنْبِيَاءِ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٌ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلاةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي الْمَغَانِمُ، وَلَمْ تَحِلَّ لأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً) فدل هذا على أن العدد المذكور لا مفهوم له.

فقوله: (خمساً) ظاهره يدل على أن الرسول ﷺ اختص بهذه الخمس فقط، لكن مفهوم العدد غير مقيد، وأن العدد لا مفهوم له، فما أعطيه النبي ﷺ أكثر من ذلك.

فعند مسلم (وأعطيت جوامع الكلم، وختم بي النبيون).

وعنده أيضاً من حديث حذيفة (جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة).

وعند النسائي (وأعطيت هذه الآيات من آخر سورة البقرة من كنز تحت العرش).

ولأحمد من حديث علي (أعطيت مفاتح الأرض، وسميت أحمد، وجعلت أمتي خير الأمم).

وعند البزار عن أبي هريرة (وغفر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر، وأعطيت الكوثر، وإن صاحبكم لصاحب لواء الحمد يوم القيامة).

وعند البزار عن ابن عباس (وكان شيطاني كافراً فأعانني الله عليه فأسلم).

٣–قوله (**إمَامٌ عَادِلٌ**) .

فيه فضل الإمام إذا كان عادلاً.

المراد به صاحب الولاية العظمى، ويلتحق به كل من ولي شيئاً من أمور المسلمين فعدل فيه.

قال الحافظ: وأحسن ما فسر به العادل أنه الذي يتبع أمر الله بوضع كل شيء في موضعه من غير إفراط ولا تفريط.

قدمه في الذكر لعموم النفع به.

قال ابن رجب: وأول هذه السبعة: الإمام العادل: وهو أقرب الناس من الله يوم القيامة، وهو على منبر من نور على يمين الرحمن، وذلك جزاء لمخالفته الهوى، وصبره عن تنفيذ ما تدعوه إليه شهواته وطمعه وغضبه، مع قدرته على بلوغ غرضه من ذلك؛ فإنَّ الإمام العادل دعته الدنيا كلها إلى نفسها، فقال: إني أخاف الله رب العالمين، وهذا أنفع الخلق لعباد الله، فإنه إذا صلح صلحت الرعية كلها، وقد رُوي أنَّه ظلُّ الله في الأرض؛ لأنَّ الخلق كلَّهم يستظلون بظلِّه، فإذا عدل فيهم أظلَّه الله في ظلِّه.

قال ابن حزم: أفضل نعم الله تعالى على المرء أن يطبعه على العدل وحبه، وعلى الحقِّ وإيثاره.

وقال ابن تيمية: العدل نظام كلِّ شيء، فإذا أُقيم أمر الدنيا بعدل قامت، وإن لم يكن لصاحبها في الآخرة من خلاق، ومتى لم تقم بعدل لم تقم، وإن كان لصاحبها من الإيمان ما يجزى به في الآخرة.

وقال أيضا: وأمور الناس تستقيم في الدنيا مع العدل الذي فيه الاشتراك في أنواع الإثم، أكثر مما تستقيم مع الظلم في الحقوق وإن لم تشترك في إثم؛ ولهذا قيل: إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة؛ ولا يقيم الظالمة وإن كانت مسلمة. ويقال: الدنيا تدوم مع العدل والكفر، ولا تدوم مع الظلم والإسلام.

٤-وفي هذا فضل العدل ، فضائل العدل:

أولاً: محبة الله.

قال تعالى (وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ).

ثانياً: علو المنزلة، فهم عن يمين الرحمن.

قال ﷺ (إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا) رواه مسلم.

ثالثاً: أن الله أمر به.

قال تعالى (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُون).

رابعاً: من الذين يظلهم الله في ظله يوم القيامة إمام عادل.

كما في حديث الباب (سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، ...) .

٥ - قوله (**وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ**) خص الشاب لأنه مظنة غلبة الشهوة لما فيه من قوة الباعث على متابعة الهوى، فإن ملازمة العبادة مع ذلك أشد وأدل على غلبة التقوى.

٦ - قوله (**وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ**) أي: يحب أن يكون فيها للصلاة، والذكر، وقراءة القرآن.

قال الحافظ ابن حجر: وظاهره أنه من التعليق كأنه شبهه بالشيء المعلق في المسجد كالقنديل مثلاً، إشارة إلى طول الملازمة بقلبه وإن كان جسده خارجاً عنه، ويدل عليه رواية الجوزقي (كأنما قلبه معلق في المسجد) ويحتمل أن يكون من العلاقة وهي شدة الحب ويدل عليه رواية أحمد (معلق بالمساجد).

وكذا رواية سلمان (من حبها) .

٧ - قوله (وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللهِ) أي: لأجل الله (اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ) أي: على الحب المذكور.

قال القرطبي: أي: داما على المحبة الصادقة الدِّينية، المبرأة عن الأغراض الدُّنيوية، ولم يقطعاها بعارض في حال اجتماعهما، ولا حال افتراقهما.

٨-وفي هذا فضل عظيم للمحبة في الله .

٩ - قوله (**وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ**) المراد بالمنصب الأصل والشرف.

وصفها بأكمل الأوصاف التي جرت العادة بمزيد الرغبة لمن تحصل فيه وهو المنصب الذي يستلزمه الجاه والمال مع الجمال.

قوله (دعته) قيل: دعته إلى الفاحشة. وقيل: دعته إلى التزوج بها فخاف أن يشتغل عن العبادة بالافتتان بها.

والأول أصح، ويؤيده وجود الكناية في قوله (إلى نفسها) ولو كان المراد التزويج لصرح به.

ففي هذا فضل الخوف من الله، وفضل العفاف.

وقد قال يوسف: (مَعَاذَ اللَّهِ). وقال: (السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ).

وقوله (إني أخاف الله) الظاهر أنه يقول ذلك بلسانه، إما ليزجرها عن الفاحشة، أو ليعتذر إليها، ويحتمل أن يقوله بقلبه.

قال القرطبي : وقول المدعو في مثل هذا الحال: إني أخاف الله، وامتناعه لذلك دليلٌ على عظيم معرفته بالله تعالى، وشدّة خوفه من عقابه، ومتين تقواه، وحيائه من الله تعالى. وهذا هو المقام اليوسفي.

١٠-وفي هذا فضل عظيم للخوف من الله ، وللخوف فضائل :

أولاً: أنه من علامات الإيمان.

قال تعالى (فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ).

ثانياً: مدح الله أنبياءه بالخوف منه.

كما قال تعالى (إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ).

ثالثاً: الخوف من الله يجعل الإنسان في ظل العرش يوم القيامة.

كما في حديث الباب (ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله)، (ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه).

رابعاً: الخوف سبب للنجاة من كل سوء .

قال ﷺ (ثلاث منجيات: منها خشية الله تعالى في السر والعلانية) فهذه الخشية هي التي تحفظ العبد وتنجيه من كل سوء لأنه قال ووعد الله لا يخلف وهذا رسوله (منجيات) وعمّم تشمل الدنيا والآخرة.

خامساً: أثنى الله على ملائكته بشدة خوفهم منه.

كما قال تعالى (وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ).

سادساً: من صفات الرجال العظماء.

قال تعالى (رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ).

سابعاً: من صفات الأبرار خوفهم من عدم القبول.

قال تعالى (وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ) أي: والذين يعطون ويعملون ويخافون أن لا يتقبل منهم.

ثامناً: وعد الله الخائفين الجنة.

قال تعالى (وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ).

تاسعاً: أنه من صفات نبينا محمد ﷺ وأصحابه.

قال ﷺ (إني أخشاكم لله وأتقاكم له) رواه مسلم.

وعن أنس قال (خطبنا رسول الله خطبة ما سمعت مثلها قط قال: لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً، فغطى أصحاب رسول الله وجوههم ولهم خنين) متفق عليه.

عاشراً: من أسباب النجاة من النار.

كما قال ﷺ (عينان لا تمسهما النار: عين باتت تحرس في سبيل الله، وعين بكت من خشية الله) رواه الترمذي.

وقد قال ﷺ (من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة).

الحادي عشر: الخوف سبب للبعد عن المعاصي:

قال تعالى (قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ. مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ).

قال بعض السلف: إذا سكن الخوف في القلب أحرق موضع الشهوات منه.

الثاني عشر: سبب في إخلاص العمل لله.

قال تعالى (إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُوراً. إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً).

الثالث عشر: سبب لعلو الهمة في العبادة.

قال تعالى (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ).

الرابع عشر: الخوف يجعل العبد سائراً على طريق الهداية.

قال ذو النون المصري: الناس على الطريق ما لم يزل عنهم الخوف فإذا زال عنهم الخوف ضلوا عن الطريق.

الخامس عشر: الخوف يضفي المهابة على صاحبه.

قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: من خاف الله أخاف الله منه كل شيء، ومن لم يخف الله خاف من كل شيء.

وقال يحيى بن معاذ الرازي: على قدر حبك لله يحبك الخلق، وعلى قدر خوفك من الله يهابك الخلق.

السادس عشر: الخوف من أسباب قبول الدعاء.

قال تعالى (وادعوه خوفاً وطمعاً إن رحمت الله قريب من المحسنين).

السابع عشر: الخوف من أسباب الانتفاع بكلام الله تعالى.

قال تعالى (فذكر بالقرآن من يخاف وعيد).

قال أبو سليمان الداراني: ما فارق الخوف قلباً إلا خرب.

وقال حاتم الأصم: لكل شيء زينة، وزينة العبادة الخوف من الله.

وقال عامر بن قيس: من خاف الله أخاف الله منه كل شيء، ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شيء.

وقال الفضيل: من خاف الله دله الخوف على كل خير.

وقال يزيد بن حوشب: ما رأيت أخوف من الحسن وعمر بن عبد العزيز كأن النار لم تخلق إلا لهما.

١١- قوله (**وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بصدقة فأَخْفَاها حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ**) .

فيه فضل الصدقة، وفيه أن الأفضل فيها الخفاء.

وقوله (حتى لا تعلم شماله ...) المراد المبالغة في الإخفاء.

قال القرطبي: هذا مبالغة في إخفاء الصدقة.

وقال في الفتح: المقصود منه المبالغة في إخفاء الصدقة بحيث أن شماله مع قربها من يمينه وتلازمهما لو تصور أنها تعلم لما علمت ما فعلت اليمين لشدة إخفائها فهو على هذا من مجاز التشبيه ويؤيده رواية حماد بن زيد عند الجوزقي تصدق بصدقة كأنما أخفى يمينه من شماله.

١٢-الصدقة فضلها عظيم، وأجرها كبير، وجاءت النصوص الكثيرة في فضلها:

أولاً: أنها برهان على صدق إيمان صاحبها.

لحديث أبي مالك الأشعري. قال: قال ﷺ (والصدقة برهان) رواه مسلم.

قال ابن رجب: وأما الصدقة فهي برهان، ... فكذلك الصدقة برهان على صحة الإيمان.

ثانياً: أنها تطهير للنفس.

كما قال تعالى (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ).

ثالثاً: أنها تزيد المال.

قال ﷺ (ما نقصت صدقة من مال) رواه مسلم.

رابعاً: أنها تظلل صاحبها يوم القيامة.

قال ﷺ (العبد في ظل صدقته يوم القيامة) رواه ابن حبان.

خامساً: مغفرة الذنوب:

وفي الحديث (والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار) رواه الترمذي.

سادساً: يكون في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله.

كما في حديث الباب (وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ).

سابعاً: سبب للنجاة من النار.

كما قال ﷺ للنساء (تصدقن، فإني رأيتكن أكثر أهل النار) متفق عليه.

وقال ﷺ (اتقوا النار ولو بشق تمرة) متفق عليه.

ثامناً: أن الله يضاعفها ولو كانت قليلة.

كما قال تعالى (يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ).

وقال ﷺ (إن الله يربي الصدقة كما يربي أحدكم فلوه) متفق عليه.

عن أبي هُرَيْرَةَ قال. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (مَا تَصَدَّقَ أَحَدٌ بِصَدَقَةٍ مِنْ طَيِّبٍ – وَلاَ يَقْبَلُ اللَّهُ إِلاَّ الطَّيِّبَ – إِلاَّ أَخَذَهَا الرَّحْمَنُ بِيَمِينِهِ وَإِنْ كَانَتْ تَمْرَةً فَتَرْبُو فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ حَتَّى تَكُونَ أَعْظَمَ مِنَ الْجَبَلِ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ أَوْ فَصِيلَهُ) متفق عليه.

تاسعاً: درجة البر (الجنة) تنال بالإنفاق:

كما قال تعالى (لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ).

وكان ابن عمر إذا أعجبه شيء من ماله تصدق به.

عاشراً: صاحب الصدقة موعود بالخلف.

كما قال تعالى (وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) أي يخلفه عليكم في الدنيا بالبذل، وفي الآخرة بالجزاء والثواب.

الحادي عشر: سبب لدعاء الملائكة.

قال ﷺ (ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً) متفق عليه.

الثاني عشر: أن فيها انشراح الصدر، وراحة القلب وطمأنينته.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (مَثَلَ الْبَخِيلِ وَالْمُتَصَدِّقِ كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُنَّتَانِ مِنْ حَدِيدٍ قَدِ اضْطُرَّتْ أَيْدِيهِمَا إِلَى ثُدَيِّهِمَا وَتَرَاقِيهِمَا فَجَعَلَ الْمُتَصَدِّقُ كُلَّمَا تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ انْبَسَطَتْ عَنْهُ حَتَّى تُغَشِّيَ أَنَامِلَهُ وَتَعْفُوَ أَثَرَهُ وَجَعَلَ الْبَخِيلُ كُلَّمَا هَمَّ

بِصَدَقَةٍ فَلَصَتْ وَأَخَذَتْ كُلُّ حَلْقَةٍ مَكَانَهَا». قَالَ فَأَنَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ بِإِصْبَعِهِ فِي جَيْبِهِ فَلَوْ رَأَيْتَهُ يُوَسِّعُهَا وَلاَ تَوَسَّع).

متفق عليه

الثالث عشر: الفضل الكبير: اسق حديقة فلان.

عن أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ (بَيْنَا رَجُلٌ بِفَلاَةٍ مِنَ الأَرْضِ؛ فَسَمِعَ صَوْتاً فِي سَحَابَةٍ: "اسْقِ حَدِيقَةَ فُلاَنٍ"!!. فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحَابُ، فَأَفْرَغَ مَاءَهُ فِي حَرَّةٍ!! فَإِذَا شَرْجَةٌ مِنْ تِلْكَ الشِّرَاجِ قَدِ اسْتَوْعَبَتْ ذَلِكَ الْمَاءَ كُلَّهُ!! فَتَتَبَّعَ الْمَاءَ، فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ الْمَاءَ بِمِسْحَاتِهِ. فَقَالَ لَهُ يَا عَبْدَ اللَّهِ! مَا اسْمُكَ؟ قَالَ: "فُلاَنٌ". لِلاِسْمِ الَّذِى سَمِعَ فِي السَّحَابَةِ! فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ! لِمَ تَسْأَلُنِي عَنِ اسْمِى؟! فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ صَوْتاً فِي السَّحَابِ الَّذِى هَذَا مَاؤُهُ يَقُولُ" "اسْقِ حَدِيقَةَ فُلاَنٍ" لِاسْمِكَ! فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا؟!! قَالَ: أَمَّا إِذَا قُلْتَ هَذَا، فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَا يَخْرُجُ مِنْهَا: فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ، وَآكُلُ أَنَا وَعِيَالِي ثُلُثاً، وَأَرُدُّ فِيهَا ثُلُثَهُ) رواه مسلم.

١٣-الحديث دليل على أن الأفضل في صدقة التطوع أن تكون سراً.

لقوله (ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه).

وقال تعالى (إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ).

قال السعدي: قوله تعالى (إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ) قال السعدي: أي: فتظهروها وتكون علانية حيث كان القصد بها وجه الله (فنعما هي) أي: فنعم الشيء (هي) لحصول المقصود بها.

وقال ابن القيم: قوله تعالى (إن تبدوا الصدقات فنعما هي) أي فنعم شيء هي وهذا مدح لها موصوفة بكونها ظاهرة بادية فلا يتوهم مبديها بطلان أثره وثوابه فيمنعه ذلك من إخراجها وينتظر بها الإخفاء فتفوت أو تعترضه الموانع ويحال بينه وبين قلبه أو بينه وبين إخراجها فلا يؤخر صدقة العلانية بعد حضور وقتها إلى وقت السر وهذه كانت حال الصحابة (وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ) أي: وإن تسروها وتدفعوها للفقراء فهو أفضل لكم لأنه أبعد عن الرياء.

وقال ابن كثير: فيه دلالة على إن إسرار الصدقة أفضل من إظهارها، لأنه أبعد عن الرياء، إلا أن يترتب على الإظهار مصلحة راجحة، من اقتداء الناس به، فيكون أفضل من هذه الحيثية.

فالأصل أن الإسرار أفضل، لهذه الآية، ولما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة. قال: قال رسول الله ﷺ (سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: ... ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه).

وجاء في الحديث (صدقة السر تطفئ غضب الرب).

وقال القرطبي: قوله تعالى (فَنِعِمَّا هِيَ) ثناء على إبداء الصدقة، ثم حكم على أن الإخفاء خير من ذلك.

ولذلك قال بعض الحكماء: إذا اصطنعت المعروف فاستره، وإذا اصطُنع إليك فانشره.

وقال العباس بن عبد المطلب ﷺ: لا يتمّ المعروف إلا بثلاث خصال: تعجيلُه وتصغيرُه وسترهُ؛ فإذا أعجلته هنيّته، وإذا صغّرته عظّمته، وإذا سترته أتْمَمْته.

وقال بعض الشعراء فأحسن:

زاد معروفُك عندي عِظَماً. . .أنه عندك مستورٌ حقِيرْ

تَتَناساه كأَنْ لَمْ تأتِه. . .وهو عند الناس مشهور خطِيرْ

وقال رحمه الله: ذهب جمهور المفسرين إلى أن هذه الآية في صدقة التطوّع؛ لأن الإخفاء فيها أفضل من الإظهار، وكذلك سائر العبادات الإخفاءُ أفضل في تطوّعها لانتفاء الرياء عنها.

قال ابن عباس: جعل الله صدقة السر في التطوّع تفضُل علانيتها يقال بسبعين ضِعفاً، وجعل صدقة الفريضة علانيتها أفضل من سِرّها يقال بخمسة وعشرين ضِعفاً.

قال: وكذلك جميع الفرائض والنوافل في الأشياء كلها.

قلت: مثل هذا لا يقال من جهة الرأي وإنما هو توقيف؛ وفي صحيح مسلم عن النبيّ ﷺ أنه قال: " أفضل صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة " وذلك أن الفرائض لا يدخلها رياء والنوافل عُرضة لذلك

المقصود بقوله (حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه) المبالغة في إخفاء الصدقة بحيث أن شماله مع قربها من يمينه وتلازمهما لو تصور أنها تعلم بما عملت ما فعلت اليمين لشدة إخفائها).

١٤ – قوله (**وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ**) خالياً: أي من الخلو، لأنه حينئذٍ أبعد من الرياء.

فائدة:

قال ابن رجب: ... ومن هاهنا عظم ثواب من أطاع الله سراً بينه وبينه، ومن ترك المحرمات التي يقدر عليها سراً.

فأما الأول: فمثل قوله تعالى (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ) إلى قوله (فلا تعلم نفس ..).

قال بعض السلف: أخفوا لله العمل فأخفى لهم الجزاء.

وفي حديث السبعة الذي يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله (.. ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه).

وأما الثاني: فمثل قوله ﷺ في السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله (ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله).

١٥–فضل البكاء من خشية الله .

قال تعالى (وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً).

وقال تعالى (أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ. وَتَضْحَكُونَ وَلا تَبْكُونَ).

وقال ﷺ (لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً، قال: فغطى أصحاب رسول الله ﷺ وجوههم ولهم خنين). متفق عليه

وقال ﷺ (لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع) رواه الترمذي.

وقال ﷺ (عينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية الله ...) رواه الترمذي.

وقال ﷺ (سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: ... ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه) متفق عليه.

١٦– ذكر الرجال في هذا الحديث لا مفهوم له أيضاً، إذ تدخل النساء معهم فيما ذكر إلا في موضعين، هما:

أ –الولاية العظمى والقضاء، فالمرأة لا تلي المسلمين ولاية عامة، ولا تكون قاضية، لكن ينطبق عليها العدل فيما تصح به ولايتها، كمديرة المدرسة، ونحوها.

ب ملازمة المسجد، لأن صلاة المرأة في بيتها أفضل من المسد. وباقي الخصال تدخل فيها المرأة.

١٧ – مما أفاده الحديث: إخلاص العبادة لله جل وعلا، فالأمر الجامع بين العمال المذكورة في الحديث إخلاصها لله سبحانه وتعالى، وتجريدها عن المقاصد الأخرى.

١٨ – ومن الأمور الجامعة بين هذه الصفات أيضاً: الصبر والتحمل، ولا شك أن طاعة الله تعالى وتنفيذ أوامره تحتاج إلى صبر ومصابرة، لأن فيها معارضة للشيطان والنفس والهوى، فإذا جاهدهم وانتصر عليهم استحق الجزاء الأوفى.

١٩ – أن المرأة كالرجل في هذا الحديث إلا إذا كان المراد بالإمام العادل الإمامة العظمى فلا تدخل.

٢٠ – عظم فضل الله.

٢١ – أن الله لا يضيع عمل المحسنين.

٢٢ – فضل الإخلاص.

٢٣ – ذم الرياء.

٢٤ – فضل البكاء من خشية الله.

٣٧٨ – وعنه، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ (والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لا تَدْخُلُوا الجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلامَ بينكم) .

==========

(**لاَ تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا**) قال النووي: هو على ظاهره وإطلاقه، فلا يدخل الجنة إلا من مات مؤمناً، وإن لم يكن كامل الإيمان.

(**وَلاَ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا**) أي: لا يكمل إيمانكم، ولا يصلح حالكم في الإيمان إلا بالتحاب.

فالأولى (لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا) نفي لأصل الإيمان، والثانية (وَلاَ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا) نفي لكمال الإيمان.

(**أَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُم**) معنى إفشاء السلام إظهاره وإشاعته.

١ – الحديث دليل أنه لا يدخل الجنة إلا مؤمن، فالجنة حرام على غير المؤمن.

كما قال تعالى (ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله).

وقال تعالى (ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة).

وقال ﷺ (لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة).

٢ – وجوب الإيمان بالله.

٣ – أن الإيمان شرط لقبول الأعمال.

٤ – فضل التحاب بين المسلمين وأن هذا من أعظم أسباب الإيمان.

ولذلك حث الشرع على التحاب بين المسلمين.

قال تعالى (إنما المؤمنون إخوة).

وقال ﷺ (إنما مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعي له سائر الجسد بالسهر والحمى) متفق عليه.

وقال ﷺ (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً، وشبك بين أصابعه) متفق عليه.

٥ – فضل السلام وأنه من أسباب نشر المحبة بين المسلمين، وللسلام فضائل:

أولاً: أنه سبب للمحبة.

كما في حديث الباب.

ثانياً: أنه من خير خصال الإسلام.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو م أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ أَيُّ الإِسْلاَمِ خَيْرٌ قَالَ: (تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلاَمَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ) متفق عليه.

ثالثاً: من أسباب دخول الجنة.

قال ﷺ (يا أيها الناس: أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، ... تدخلوا الجنة بسلام) رواه الترمذي.

٦ – استحباب نشر السلام لكل الناس من تعرف ومن لا تعرف.

للحديث السابق (... تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلاَمَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ) متفق عليه.

وجعل السلام على الجميع لمن يعرف ومن لا يعرف حتى يكون خالصاً لله تعالى، بريئاً من حظ النفس، والتصنع، لأنه شعار الإسلام، فحق كل مسلم فيه شائع.

قال عمار بن ياسر: ثلاثٌ من جمعهن فقد جمع الإيمان: الإنصاف من نفسك، وبذل السلام للعالَم، والإنفاق من الإقتار.

ثلاث: أي ثلاث خصال. ... للعالَم: بفتح اللام والمراد به جميع الناس، الإقتار: القلة وقيل الافتقار.

وإنما كان من جمعهن فقد جمع الإيمان:

أ – الإنصاف من نفسك .

لأن العبد إذا اتصف بالإنصاف لم يترك لمولاه حقاً واجباً عليه إلا أداه، ولم يترك شيئاً مما نهاه عنه إلا اجتنبه.

ب– بذل السلام .

يتضمن مكارم الأخلاق والتواضع، ويحصل به التآلف والتحاب.

ج– الإنفاق من الإقتار .

يتضمن غاية الكرم، لأنه إذا أنفق من الاحتياج كان مع التوسع أكثر إنفاقاً.

قال العلامة ابن القيم في شرح هذه الكلمات:

وقد تضمنت هذه الكلمات أصول الخير وفروعه:

فإن الإنصاف يوجب عليه أداء حقوق الله كاملة موفّرة، وأداء حقوق الناس كذلك، وألا يطالبهم بما ليس له، ويعاملهم بما يحب أن يعاملوا به، ويحكم لهم وعليهم بما يحكم به لنفسه وعليها، ويدخل في هذا: إنصافه نفسه من نفسه، فلا يدعي لها ما ليس لها، ويُنميها ويرفعها بطاعة الله (تعالى) وتوحيده، وحبّه وخوفه.

وبذل السلام للعالم: يتضمن تواضعه وأنه لا يتكبر على أحد، بل يبذل السلام للصغير والكبير، والشريف والوضيع، ومن يعرفه ومن لا يعرفه ...

وأما الإنفاق مع الإقتار فلا يصدر إلا عن قوة ثقة بالله، وأن الله يُخلفه ما أنفقه، وعن قوة يقين، وتوكل، ورحمة، وزهد في الدنيا، ووثوق بوعد مَنْ وعده مغفرة منه وفضلاً، وتكذيباً بوعد من يعده الفقر ويأمره بالفحشاء.

وقال الحافظ في الفتح: قال أبو الزناد بن سراج وغيره: إنما كان من جمع الثلاث مستكملاً للإيمان؛ لأن مداره عليها، لأن العبد إذا اتصف بالإنصاف لم يترك لمولاه حقّاً واجباً عليه إلا أداه، ولم يترك شيئاً مما نهاه عنه إلا اجتنبه، وهذا يجمع أركان الإيمان. وبذل السلام يتضمن مكارم الأخلاق والتواضع وعدم الاحتقار، ويحصل به التآلف والتحابب. والإنفاق من الإقتار يتضمن غاية

الكرم لأنه إذا أنفق مع الإقتار كان مع التوسع أكثر إنفاقاً، وكونه مع الإقتار يستلزم الوثوق بالله والزهد في الدنيا وقصر الأمل وغير ذلك من مهمات الآخرة

٧ – التحذير من تسليم الخاصة وهو أن لا يسلم إلا على من يعرف.

وفي الحديث (بين يدي الساعة تسليم الخاصة).

٨ – مباحث في السلام:

أولاً: حكم ابتدائه سنة.

لحديث أبي هريرة. قال: قال رسول الله ﷺ (حق المسلم على المسلم ست؟ قيل: ما هن يا رسول الله؟ قال: إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، ...) متفق عليه.

قال النووي: اعلم أن ابتداء السلام سنة، ونقل ابن عبد البر إجماع المسلمين على أن ابتداء السلام سنة.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: إن من حق المسلم على أخيه إذا لقيه أن يسلم عليه، وهذا الحق ليس بواجب بدليل أن النبي ﷺ رخص في الهجر دون ثلاث، فقال: لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام) متفق عليه.

ثانياً: رده فرض [فإن كان المسلَّم عليه واحد تعين الرد وإن كان جماعة كان الرد فرض كفاية، فإذا رد واحد منهم سقط الحرج عن الباقين].

عن علي قال: قال رسول الله ﷺ (يُجزئُ عن الجماعة إذا مروا أن يسلم أحدهم، ويجزئُ عن الجماعة أن يردَّ أحدهم). رواه أحمد

ثالثاً: يسن السلام إذا دخل الإنسان بيته.

لقوله تعالى (فإذا دخلتم بيوتاً فسلموا على أنفسكم) أي على من فيها، وجعلهم من أنفسهم، لأن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً.

رابعاً: إذا كان المسلم عليه جماعة استحب أن يقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته [بالجمع].

لحديث عمران بن حصين قال (جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: السلام عليكم، فرد عليه ثم جلس، فقال النبي ﷺ: عشر، ثم جاء آخر، فقال: السلام عليكم ورحمة الله، فرد عليه فجلس، فقال: عشرون، ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فرد عليه فجلس، فقال: ثلاثون) رواه أبو داود.

وإن اقتصر على (السلام عليكم) كفى لكن الأفضل أن يأتي بها كاملة.

خامساً: إذا كان المسلَّم عليه واحداً، فالصحيح أنه يقول (السلام عليك) وليس (السلام عليكم).

لحديث المسيء في صلاته أنه قال للنبي ﷺ (السلام عليك).

سادساً: يجب رد التحية بمثلها أو أحسن منها.

فإذا كان المسلِّم قال: السلام عليكم، فعلى الراد أن يقول: وعليكم السلام.

فإن كان قال: السلام عليكم ورحمة الله، فعلى الراد أن يقول وعليكم السلام ورحمة الله.

لقول تعالى (وإذا حيتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها).

قال: السلام عليك، قل: وعليك السلام، لا تنقص.

قال: السلام عليك ورحمة الله، قل: وعليك السلام ورحمة الله [وجوباً] لقوله أو ردوها. وإذا زدت وبركاته أفضل.

فالواجب أن ترد بالمثل، وإن زدته فهو أفضل لكنه ليس بواجب.

سابعاً: يسن السلام على الصبيان.

لحديث أنس (أن النبي ﷺ مر على صبيان فسلم عليهم) رواه البخاري.

وفي السلام على الصبيان فوائد:

- من باب نشر إفشاء السلام ونشره.
- دليل التواضع.
- دليل على عدم الكبر.
- تعليم الصغار الأخلاق الإسلامية.
- زرع محبة الصغار.

ثامناً: يسن أن يسلم الصغير على الكبير والمار على القاعد.

لحديث أبي هريرة. قال: قال رسول الله ﷺ (يسلم الصغير على الكبير، والمار على القاعد، والقليل على الكثير) متفق عليه، ولمسلم (والراكب على الماشي).

والحكمة كما قال بعض العلماء: أن الماشي يشبه الداخل فكان أولى بالبدء بالسلام، والراكب لئلا يتكبر بركوبه، والقليل يبدأ بالتسليم مراعاة لحق الكثير لأن حقهم أعظم.

- ليس معنى أن هذا الراكب إن لم يسلم فإنه لا يسلم عليه، لا، وإنما الأولى أن يسلم الراكب، فإن لم يسلم كأن يكون غافلاً أو ناسياً فإن الماشي يسلم، وهكذا الكثير إن لم يسلموا لسبب من الأسباب، فإنه يشرع للقليلين أن يسلموا، ولا تترك السنة.

تاسعاً: يحرم ابتداء الكافر بالسلام.

لحديث أبي هريرة. قال: قال رسول الله ﷺ (لا تبدءوا اليهود والنصارى بالسلام، وإذا لقيتموهم في طريق فاضطروهم إلى أضيقه) رواه مسلم.

فلا يجوز أن نبدأ اليهود والنصارى وغيرهم من الكفار بالسلام، لأن في التسليم عليهم نوع من الإكرام لهم.

- لكن إن سلموا هم فإننا نرد عليهم، وقد أخبرنا النبي ﷺ كيف نرد عليهم.

عن أنس. قال: قال رسول الله ﷺ (إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا وعليكم) متفق عليه.

فإذا قال: السام عليكم، أو شككنا به، فإننا نرد: وعليكم.

وإن سلموا سلاماً واضحاً (السلام عليكم) فإننا نرد عليهم: وعليكم السلام.

- اختلف العلماء بالبداءة (بأهلاً وسهلاً) فقيل يبدأون بها، وقيل: لا يبدأون بها. والله أعلم.

٣٧٩ – وعنه، عن النَّبيّ ﷺ (أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرصَدَ اللهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا ... » وذكر الحديث إِلَى قوله: «إِنَّ اللهَ قَدْ أَحبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ». رواه مسلم، وقد سبق بالباب قبله. .

==========

تقدم شرح الحديث ، وفيه فضل الحب في الله .

وأن من أحب شخصاً لله أحبه الله .

وفيه فضل الزيارة في الله .

وعلى المسلم أن يحرص على إحياء سنة الزيارة في الله .

قال ابن عباس (من أحب في الله ، وأبغض في الله ، ووالى في الله ، وعادى في الله ، فإنما تنال ولاية الله بذلك ، ولن يجد عبدٌ طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصومه ، حتى يكون كذلك ، وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا ، وذلك لا يجدي على أهله شيئاً) رواه ابن جرير وابن المبارك .

وهذا الكلام قاله ابن عباس في أهل زمانه، فكيف لو رأى الناس فيما هم فيه من المؤاخاة على الكفر والبدع والفسوق والعصيان، ولكن هذا مصداق لقوله ﷺ (بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً فطوبى للغرباء) واه مسلم .

وفيه الإشارة إلى أن الأمر قد تغير في زمن ابن عباس بحيث صار الأمر إلى هذا بالنسبة إلى ما كان في زمن الخلفاء الراشدين فضلاً عن زمن الرسول .

عن ابن عمر . رضي الله عنهما . قال : (لقد رأيتنا على عهد رسول الله ﷺ وما منّا أحد يرى أنه أحق بديناره ودرهمه من أخيه المسلم) . رواه ابن ماجه .

٣٨٠ – وعن البرَاءِ بن عازب رضي الله عنهما، عن النَّبيّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ في الأنصار (لاَ يُحِبُّهُمْ إِلاَّ مُؤمِنٌ، وَلاَ يُبْغِضُهُمْ إِلاَّ مُنَافِقٌ، مَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ اللهُ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ الله) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ. .

==========

(**الأنصار**) المراد بهم أنصار رسول الله ﷺ، والمراد الأوس والخزرج، وهو اسم إسلامي سماهم به رسول الله ﷺ.

١–الحديث دليل على فضيلة ظاهرة للأنصار، وأن حبهم من علامات الإيمان، وأن من أحبهم أحبه الله .

وفي صحيح مسلم عن أنس. عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ (آيَةُ الإِيمَانِ حُبُّ الأَنْصَارِ، وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الأَنْصَارِ).

قال الحافظ ابن حجر: وخصوا بهذه المنقبة العظمى لما فازوا به دون غيرهم من القبائل من إيواء النبي ﷺ ومن معه، والقيام بأمرهم ومواساتهم بأنفسهم وأموالهم وإيثارهم إياهم في كثير من الأمور على أنفسهم، فكان صنيعهم لذلك موجباً لمعاداتهم جميع الفرق الموجودين من عرب وعجم، والعداوة تجر البغض، ثم كان ما اختصوا به مما ذكر موجباً للحسد، والحسد يجر البغض، فلهذا جاء التحذير من بغضهم والترغيب في حبهم حتى جعل ذلك آية الإيمان والنفاق.

٢–ولهم فضائل كثيرة:

أولاً: حبهم إيمان وبغضهم نفاق.

لحديث أنس السابق (آيَةُ الإِيمَانِ حُبُّ الأَنْصَارِ، وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الأَنْصَارِ).

ثانياً: من أسباب محبة الله.

لحديث الباب (لاَ يُحِبُّهُمْ إِلاَّ مُؤْمِنٌ وَلاَ يُبْغِضُهُمْ إِلاَّ مُنَافِقٌ مَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ اللَّهُ وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللَّهُ) .

ثالثاً: أن الله أثنى عليهم في القرآن.

قال تعالى (وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ).

وقال تعالى (لَقَد تَّابَ الله عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ).

وقال تعالى (وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ).

رابعاً: تمنى أن يكون منهم.

قال ﷺ (لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار) متفق عليه.

خامساً: دعاء الرسول ﷺ لهم.

قال ﷺ (اللهم اغفر للأنصار ...) متفق عليه.

سادساً: هم من أحب الناس لرسول ﷺ .

عن أنس قال (جاءت امرأة من الأنصار إلى رسول الله ﷺ ومعها صبي لها فكلمها رسول الله ﷺ فقال: والذي نفسي بيده، إنكم أحب الناس إليّ) رواه البخاري.

سابعاً: أوصى الرسول ﷺ بهم.

قال ﷺ (أوصيكم بالأنصار فإنهم كرشي وعيبي وقد قضوا ما عليهم وبقي الذي لهم فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم) رواه البخاري.

٣ – ينبغي حب الأنصار من أجل نصرتهم للرسول ﷺ ولذلك جاء عند أبي نعيم في المستخرج من حديث البراء بن عازب (من أحب الأنصار فبحبي أحبهم، ومن أبغض الأنصار فببغضي أبغضهم).

٤ – الرد على الرافضة – لعنهم الله – في تكفيرهم ولعنهم للصحابة فهم منافقون قبحهم الله.

قال العلماء: سب الصحابة أو تكفيرهم يستلزم أموراً خطيرة:

أولاً: الطعن في الصحابة، وهذا واضح.

ثانياً: يلزم من هذا أمر من أمرين، إما نسبة الجهل إلى الله – تعالى عما يصفون – أو العبث في هذه النصوص التي أثني بها على الصحابة.

فإن كان الله – تعالى عن قولهم – غير عالم بأنهم سيكفرون ومع ذلك أثنى عليهم ووعدهم بالحسنى فهو جهل، والجهل عليه تعالى محال، وإن كان الله عالماً بأنهم سيكفرون فيكون وعده لهم بالحسنى ورضاه عنهم عبث، والعبث في حقه محال.

ثالثاً: الطعن في حكمة الله سبحانه وتعالى حيث اختارهم واصطفاهم لصحبة نبيه ﷺ فجاهدوا معه وآزروه ونصروهم واتخذهم أصهاراً، حيث زوج ابنتيه ذا النورين (عثمان) وتزوج ابنتي أبي بكر وعمر، فكيف يختار لنبيه أنصاراً وأصهاراً مع علمه بأنهم سيكفرون؟؟

رابعاً: يستلزم ذلك الطعن في القرآن وفي الشريعة، وذلك لأن الطعن في النقلة طعن في المنقول، إذ كيف نثق بكتاب نقله إلينا الفسقة والمرتدون والعياذ بالله.

٥ – وجوب حب الصحابة.

٦ – أن بغض الأنصار – بعد ما عرفت نصرتهم للرسول – نفاق ودليل على خبث القلب.

٧ – أهمية عمل القلب من حب وبغض.

٨ – وجوب حب الرسول وحب من يحب الرسول ﷺ وينصره.

٩ – وجوب بغض كل من أبغض الرسول ﷺ أو نصره.

١٠ – مدح النبي ﷺ للأنصار لأمرين:

الأمر الأول: لمعرفة فضلهم.

الثاني: الاقتداء بهم في نصرة الرسول ﷺ .

١١ – إثبات الولاء والبراء.

١٢ – إثبات صفة المحبة لله تعالى وأن الله تعالى يحب ويحب.

١٣ – إثبات البغض لله تعالى إثباتاً يليق بجلاله من غير تحريف ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تشبيه.

١٤ – حب الأنصار من أسباب محبة الله.

١٥ – الرد على الروافض وخبث مذهبهم في بغض الصحابة.

١٦ – الرد على الخوارج.

٣٨١ – وعن معاذ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول (قَالَ الله عز وجل: الْمُتَحَابُّونَ فِي جَلالِي، لَهُمْ مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ يَغْبِطُهُمُ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ) رواه الترمذي، وَقالَ: «حديث حسن صحيح».

==========

(**الْمُتَحَابُّونَ فِي جَلالِي**) أي : لأجل إجلالي وتعظيمي.

(**مَنَابِر**) جمع مِنبر، من النَبر وهو العلو؛ فيكون بمعنى المكان المرتفع.

(**يَغْبِطُهُم**) وهي تمني الحصول على نعمة رآها وألا تتحول عن صاحبها.

١–الحديث دليل على فضل عظيم للمتحابين في الله .

قال محمد علي بن علان رحمه الله: الغبطة تمنِّي مثل ما للغير منا لخير من غير زواله عن صاحبه، فدلَّ هذا الحديث القدسي على أن لهؤلاء العباد منازلَ شريفةً عظيمةً في الآخرة، ولا يلزم من تمنِّي الأنبياء أن يكون أولئك أفضل من الأنبياء؛ لأنه قد يكون لك مائة فرس من العتاق، ثم ترى لأخيك فرسًا؛ فتشتهي أن تشتريه منه أو تشتري مثله، وهذا من هذا القبيل، ويجوز أنه لم يقصد النظر إلى معنى الغبطة أصلًا، وإنما أُريد بيان فضلهم وشرفهم عند الله فقط؛ (دليل الفالحين) .

٢–للمتحابين في جلال الله منزلة عظيمة ومقام كريم عند رب العالمين.

٣–جواز الغبطة في الخير، ولا يُعَدُّ ذلك من الحسد المذموم.

٤–قد تكون في المفضول صفة يتمناها الفاضل.

٣٨٢ – وعن أَبي إدريس الخولاني رحمه الله، قَالَ (دخَلْتُ مَسْجِدَ دِمَشْقَ، فَإِذَا فَتًى بَرَّاق الثَّنَايَا وَإِذَا النَّاسُ مَعَهُ، فَإِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ، أَسْنَدُوهُ إِلَيْه، وَصَدَرُوا عَنْ رَأيِهِ، فَسَأَلْتُ عَنْهُ، فَقيلَ: هَذَا مُعَاذُ بْنُ جَبَل ﷺ. فَلَمَّا كَانَ مِنَ الغَدِ، هَجَّرْتُ، فَوَجَدْتُهُ قَدْ سَبَقَنِي بالتَّهْجِيرِ، ووَجَدْتُهُ يُصَلِّي، فانْتَظَرْتُهُ حَتَّى قَضَى صَلاتَهُ، ثُمَّ جِئْتُهُ مِنْ قِبَلِ وَجْهِهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيهِ، ثُمَّ قُلْتُ: وَاللهِ إِنِّي لأُحِبُّكَ لِله، فَقَالَ: آللهِ؟ فَقُلْتُ: اللهِ، فَقَالَ: آللهِ؟ فَقُلْتُ: اللهِ، فَأَخَذَنِي بِحَبْوَةِ رِدَائِي، فجبذني إِلَيْهِ، فَقَالَ: أَبْشِرْ! فإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يقول: «قَالَ الله تَعَالَى: وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحابِّين فِيَّ، وَالمُتَجَالِسينَ فِيَّ، وَالمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَالمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ) حديث صحيح رواه مالك في الموطأ بإسناده الصحيح.

قوله: «هَجَّرْتُ» أيْ بَكَّرْتُ، وَهُوَ بتشديد الجيم قوله: «آلله فَقُلْت: الله» الأول بهمزة ممدودة للاستفهام، والثاني بلا مد.

==========

(**عن أَبي إدريس الخولاني**) ثقة ثبت، من كبار التابعين، من علماء أهل الشام، وعُبّادهم، وقُرّائهم .

(**بَرَّاق الثَنَايَا**) مُضِيء الأسنان، حَسَن الثغر، لا يرى إلا مبتسما.

(**أَسْنَدُوهُ إِلَيهِ**) سألوه.

(**صَدَرُوا عَنْ رَأْيِهِ**) رجعوا عنه وأخذوا به.

(**أَبْشِر**) من البِشارة: وهي الخبر السار، وتستعمل في الشر تهكما.

(**بَحَبْوَةِ رِدَائِي**) أخذ بردائي من عند سرتي.

(**لِلمُتَحَابِّين فِيَّ**) أي من أجلي.

(**وجَبَت**) من الوجوب وهو الثبوت: أي ذلك كائن لا محالة.

(**المُتَبَاذِلِينَ**) المتعاونين والمنفقين من أجلي.

١–الحديث دليل على فضيلة عظيمة للمتحابين في الله .

٢–الحديث دليل على فضل التزاور في الله ، وقد تقدمت فضائل الزيارة في الله .

٣–الحديث دليل على فضل المتجالسين في الله .

وقد جاء في الصحيحين : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (إِنَّ لِلَّهِ مَلاَئِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ) قَالَ: (فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا) قَالَ: (فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ، وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ: مَا يَقُولُ عِبَادِي؟ قَالُوا: يَقُولُونَ: يُسَبِّحُونَكَ، وَيُكَبِّرُونَكَ، وَيَحْمَدُونَكَ، وَيُمَجِّدُونَكَ) قَالَ: (فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْنِي؟) قَالَ: (فَيَقُولُونَ: لا وَاللَّهِ، مَا رَأَوْكَ؟) قَالَ: (فَيَقُولُ: وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟) قَالَ: (يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً، وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجِيدًا وَتَحْمِيدًا، وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا) قَالَ: (يَقُولُ: فَمَا يَسْأَلُونِي؟) قَالَ: (يَسْأَلُونَكَ الجَنَّةَ) قَالَ: (يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟) قَالَ: (يَقُولُونَ: لا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا) قَالَ: (يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا؟) قَالَ: (يَقُولُونَ: لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا، وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً) قَالَ: (فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟) قَالَ: (يَقُولُونَ: مِنَ النَّارِ) قَالَ: (يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟) قَالَ: (يَقُولُونَ: لاَ وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا) قَالَ: (يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟) قَالَ: (يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا، وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً) قَالَ: (فَيَقُولُ: فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ) قَالَ: (يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ المَلاَئِكَةِ: فِيهِمْ فُلاَنٌ لَيْسَ مِنْهُمْ؛ إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ) قَالَ: (هُمُ الجُلَسَاءُ، لاَ يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ) .

٤–يستحب إخبار المحِب مَنْ يُحِب بمحبَّتِه .

٥-من أتى مشغولا بالعبادة فيستحسن ألا يشغله عما هو فيه حتى يفرغ .

٦-من قصد إنساناً في حاجة فليأته من تلقاء وجهه حتى لا يفزع .

٧-السلام قبل الكلام .

٨-جواز استحلاف الرجل من غير تهمة .

٩-بيان عظيم لفضل المحبة في الله .

١٠-فضل التحاب والتجالس والتزاور في الله .

٣٨٣ – وعن معاذ ﷺ: أن رَسُول الله ﷺ أخذ بيدهِ، وَقالَ: «يَا مُعَاذُ، وَاللهِ، إِنِّي لأُحِبُّكَ، ثُمَّ أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ، لاَ تَدَعَنَّ في دُبُرِ كُلِّ صَلاَةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ». حديث صحيح، رواه أَبُو داود والنسائي بإسناد صحيح.

==========

(**أُوصِيكَ**) الوصية العهد لشيء مع الاهتمام به.

(**لَا تَدَعَنَّ**) أي: لا تتركن.

(**اَللَّهُمَّ أَعِنِّي**) وفقني وسددني.

(**عَلَى ذِكْرِكَ**) المراد بالذكر بمعناه العام: كالصلاة على النبي ﷺ، وقراءة القرآن، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتحميد،... وغير ذلك.

(**وَشُكْرِكَ**) الشكر يكون باللسان والقلب والجوارح. (باللسان) الثناء، (القلب) الاعتراف. (الجوارح) العمل بطاعة الله.

١-لحديث دليل على فضيلة معاذ

حيث قال له ﷺ : إني أحبك في الله .

وبعثه رسول الله ﷺ قاضياً ومعلماً .

وقال الرسول ﷺ (أعلم أمتي بالحلال والحرام معاذ) رواه الترمذي.

وأن الرسول ﷺ خصه ببعض العلم دون بقية الصحابة، كحديث (هل تدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله ... أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً).

٢- قوله (**اللَّهُمَّ أَعِنِّي** ...) مشروعية طلب العون من الله .

وقد قال ﷺ (وَإِذَا اسْتَعَنْت فَاسْتَعِنْ بِاَللَّهِ) فأرشد ﷺ بالاستعانة بالله بعد حفظه لحدود الله والقيام بدعائه.

وهذا منتزع من قوله تعالى (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) وهي كلمة عظيمة جامعة يقال: إن سر الكتب الإلهية كلها ترجع إليها وتدور عليها.

وفي استعانة الله فائدتان:

إحداهما: أن العبد عاجز عن الاستقلال بنفسه في عمل الطاعات.

والثانية: أنه لا معين له على مصالح دينه ودنياه إلا الله، فمن أعانه الله فهو المعان، ومن خذله الله فهو المخذول.

وفي الحديث (احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز).

وكان ﷺ يقول في خطبته ويعلم أصحابه أن يقولوا (الحمد لله نستعينه ونستهديه).

٣-قوله (**على ذكرك**) .

فمن علامات توفيق الله للعبد أن يعينه على ذكره ، وأن يكون ذاكراً لله تعالى دائماً وأبداً .

٤-قوله (**وشكرك**) .

لأن من شكر الله فإنما يشكر لنفسه .

والشكر يكون باللسان والقلب والجوارح. (باللسان) الثناء، (القلب) الاعتراف. (الجوارح) العمل بطاعة الله.

وقد تقدمت فضائل الشكر .

٥-بعض الأسباب التي تؤدي إلى شكر الله :

أولاً: النظر إلى من هو دونه في أمور الدنيا.

قال ﷺ (انظروا إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم).

ثانياً: التضرع إلى الله بأن يوفقه لشكر نعمته.

قال تعالى عن سليمان (رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ).

وعلم النبي ﷺ معاذاً أن يقول (اللهم إني على ذكرك ...).

ثالثاً: أن يعلم الإنسان أن الله سيسأله عن شكر نعمه هل قام بها أم كفر.

قال تعالى (ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ).

قال ابن كثير : أي ثم لتسألن يومئذٍ عن شكر ما أنعم الله به عليكم من الصحة والأمن والرزق وغير ذلك، ماذا قابلتم به نعمه من شكر وعبادة.

رابعاً: أن يعلم العبد أن النعم إذا شكرت قرت وزادت، وإذا كفرت فرت.

قال تعالى: (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ).

٦-قوله (**وحسن عبادتك**) .

وإحسان العمل: اتقان العمل إخلاصاً ومتابعة.

قال ابن رجب: والحامل على ذلك أن يعبد العبد ربه كأنه يراه.

لأن الإحسان هو الغاية التي من أجلها خلق الخلق، وأنه سبحانه يختبر عباده في إحسانهم للعمل.

كما قال تعالى في أول سورة هود (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ) ثم بيّن الحكمة فقال (لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً). ولم يقل أيكم أكثر عملاً.

وقال تعالى في أول سورة الكهف (إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا) ثم بيّن الحكمة بقوله (لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً).

وقال تعالى في أول سورة الملك (الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ) ثم بيّن الحكمة فقال (لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً).

وفي حديث شداد بن أوس قال: سمعت النبي ﷺ يقول (إذا كنز الناس الذهب والفضة فاكنزوا أنتم هؤلاء الكلمات: .... وأسألك شكر نعمتك، وحسن عبادتك ..) رواه أحمد.

وكان السلف يوصون بإتقان العمل وتحسينه دون مجرد الإكثار منه، فإن العمل القليل مع التحسين والإتقان أفضل من الكثير مع عدم الإتقان.

قال بعض السلف: إن الرجلين ليقومان في الصف وبين صلاتيهما كما بين السماء والأرض.

وقد وصى ﷺ رجلاً أن يصلي صلاة مودع، يعني يستشعر أنه يصلي صلاة لا يصلي بعدها صلاة أخرى، فيحمله على ذلك إتقانها وتكميلها وإحسانها.

وقد وردت أحاديث في فضائل الأعمال مقيدة بإحسان العمل.

كما في حديث أَبَي سَعِيدٍ الْخُدْرِي أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ (إِذَا أَسْلَمَ الْعَبْدُ فَحَسُنَ إِسْلاَمُهُ يُكَفِّرُ اللَّهُ عَنْهُ كُلَّ سَيِّئَةٍ كَانَ زَلَفَهَا، وَكَانَ بَعْدَ ذَلِكَ الْقِصَاصُ، الْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، وَالسَّيِّئَةُ بِمِثْلِهَا إِلاَّ أَنْ يَتَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهَا).

وعنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (إِذَا أَحْسَنَ أَحَدُكُمْ إِسْلاَمَهُ، فَكُلُّ حَسَنَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ لَهُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، وَكُلُّ سَيِّئَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ لَهُ بِمِثْلِهَا) متفق عليه.

وعن عثمان. قال: قال ﷺ (من توضأ فأحسن الوضوء، خرجت خطاياه من جسده ..) رواه مسلم.

وعن عبد الله بن بسر قال. قال ﷺ (خير الناس من طال عمره وحسن عمله) رواه الترمذي.

٧-الحديث دليل على مشروعية قول هذا الدعاء دبر كل صلاة ، وقد اختلف العلماء : ما المراد بالدبر في الحديث، هل بعد التشهد وقبل السلام أم بعد السلام على قولين:

فقيل: المراد بالدبر بعد السلام.

وقيل: بعد التشهد وقبل السلام، ورجحه ابن تيمية. وهذا أظهر لأمور:

الأول: أن الأصل في دبر الشيء آخره وطرفه.

والثاني: أن قبل السلام موضع دعاء.

والثالث: أنه قد جاء عند النسائي (فلا تدعنّ أن تقول في كل صلاة ...).

٨-هذا الدعاء دعاء مهم لأمور:

أولاً: أن النبي ﷺ أوصى به معاذاً.

ثانياً: أنه قال له قبل: إني أحبك في الله، فمهد له بهذه الكلمة ليبين له عظمته.

ثالثاً: أنه دعاء جامع شامل.

٩-بعض الأدعية التي تقال بعد التشهد وقبل السلام .

منها: ما جاء في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ (إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاَللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ ، يَقُولُ: اَللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ ، وَمِنْ عَذَابِ اَلْقَبْرِ ، وَمِنْ فِتْنَةِ اَلْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ اَلْمَسِيحِ اَلدَّجَّالِ) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

ومنها: ما جاء في حديث علي. قال (... وكان آخر ما يقول بين التشهد والتسليم: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ وَمَا أَسْرَفْتُ وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْت) رواه مسلم.

ومنها: ما جاء في حديث أبي هريرة. (أن رسول الله ﷺ قال لرجل: كيف تقول في صلاتك؟ قال: أتشهد وأقول: اللهم إني أسألك الجنة، وأعوذ بك من النار، أما إني لا أحسن دندنَتَك ولا دندنةَ معاذ، فقال النبي ﷺ: حولَها ندندن) رواه أبو داود.

ومنها: ما جاء في حديث عائشة، قال ﷺ (اللهم حاسبني حساباً يسيراً). رواه أحمد

ومنها: ما جاء في حديث معاذ حديث الباب – (اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك).

ومنها: ما جاء في حديث أبي بكر (اَللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلَا يَغْفِرُ اَلذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي، إِنَّكَ أَنْتَ اَلْغَفُورُ اَلرَّحِيم).

ومنها ما جاء في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ (إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاَللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ ، يَقُولُ: اَللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ ، وَمِنْ عَذَابِ اَلْقَبْرِ ، وَمِنْ فِتْنَةِ اَلْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ اَلْمَسِيحِ اَلدَّجَّالِ) وَفِي رِوَايَةٍ (إِذَا فَرَغَ أَحَدُكُمْ مِنْ اَلتَّشَهُّدِ اَلْأَخِيرِ) .

ومنها : (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ).

٣٨٤ – وعن المقدام بن معد يكرب ﷺ عن النَّبيّ ﷺ قَالَ (إِذَا أَحَبَّ الرَّجُلُ أَخَاهُ، فَلْيُخْبِرْهُ أَنَّهُ يُحِبُّهُ) رواه أَبُو داود والترمذي، وَقالَ: «حديث صحيح».

٣٨٥ – وعن أنس ﷺ (أَنَّ رَجُلًا كَانَ عِنْدَ النَّبِيِّ، ﷺ فَمَرَّ رَجُلٌ بِهِ، فَقَالَ: يَا رَسُول الله، أَنِّي لأُحِبُّ هَذَا، فَقَالَ لَهُ النَّبِيّ ﷺ «أَأَعْلَمْتَهُ؟» قَالَ: لاَ. قَالَ: «أَعْلِمْهُ»، فَلَحِقَهُ، فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّكَ فِي الله، فَقَالَ: أَحَبَّكَ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي لَهُ) رواه أَبُو داود بإسناد صحيح.

==========

(أأعلمته) استفهام بحذف أداة الاستفهام؛ أي: أأعلمته، أو هل أعلمته.

(أحبك الله الذي أحببتني له) أي: لأجله، وهذا دعاء وليس إخباراً.

١–الحديث دليل على أن يستحب لمن أحب شخصاً في الله أن يخبره أنه يحبه في الله .

٢–السر في أن إعلام المسلم أخاه بأنه يحبه في الله هو أنه سبب في الألفة والمحبة .

لما روى علي بن الحسين مرفوعا إلى النبي ﷺ أنه قال: (إذا أحب أحدكم أخاه في الله فليبين له، فإنه خير في الألفة و أبقى في المودة) رواه وكيع في الزهد وحسنه الالباني.

٣–الحديث دليل على أن يستحب للمسلم الرد على من أظهر له محبته في الله بقوله : أَحَبَّكَ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي لَهُ .

قال الخطابي رحمه الله : معناه الحث على التودد والتآلف، وذلك أنه إذا أخبره أنه يحبه استمال بذلك قلبه، واجتلب به وُدّه .

٣–اللقاء على منهج الله يزيد في الألفة.

٤–استحباب إظهار المحبة في الله، والدعاء لفاعل الخير مثل عمله .

٥–الإسلام يحث على التآخي والتوادد والتحابب بين المسلمين، مما يجعلهم كالجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمَّى والسهر .

٦–أرشد الإسلام إلى كل ما يقوي المحبة والتآخي .